

اقتباس المناهج التعليمية وأثاره على جودة التعليم

Citing educational curricula and its effects on the quality of education

د / خثير عيسى

aissa22khatir@gmail.com

المركز الجامعي بلحاج بوشعيب عين تموشنت (الجزائر)

تاريخ النشر: 2020/05/02

تاريخ القبول: 2020/02/06

تاريخ الإرسال: 2020/01/29

الملخص :

المنهج التعليمي يقوم على أسس فلسفية وتربوية ونفسية واجتماعية وثقافية ويرتبط بأغراض ودوافع تتعلق بالمتعلم، فيراعي الأسس البيئية والاجتماعية لهذا المتعلم؛ لأنه يتفاعل في محتواه مع مجالات وجدانية وحركية وسلوكية وعقلية تكوّن المتعلم وتدججه في الحياة وتحقق رغباته، فإذا انفرط العقد بين المنهج التعليمي والمدرسة أصبحت هذه الأخيرة فارغة، فمحاولة استيراد منهج تعليمي أو اقتباس محتواه التربوي قد يؤثر لا شك في ذلك على روح المدرسة ويرهن مستقبلها، ويخلق فجوة تربوية تعليمية بين المتعلمين ومستقبلهم وإرثهم الحضاري والفكري، فينفصم الماضي عن الحاضر ويصبح المستقبل أشد غموضا. وهذا ما سنحاول أن نشير إليه في هذه الورقة البحثية. الكلمات المفتاحية: المنهاج، التربية، التعليم، الاقتباس، المتعلم.

Summary: Educational curriculum based on philosophical, educational, psychological, social and cultural foundations, it relates to the purposes and motivations related of the learner, which takes into account the environmental and social foundations of the learner, because he reacts in its content with emotional, kinetic, behavioral and mental areas which incorporate him into life and fulfill its desires, if the contract is served between the educational curriculum and the school, then the latter becomes empty, an attempt to import an educational curriculum or quote its educational content without a doubt this may affect the spirit of the school and mortgage its future, it creates an educational gap between learners and their future, cultural and intellectual heritage, so the past is separated from the present, and The future becomes more mysterious.

This is what we will try to refer to in this research paper.

Key words: The Curriculum, Education, pedagogic, the Quote (excerption), the Learner...

تقديم :

تحرص الأمم على الاستثمار المنتج في المواطن؛ لأنه مستقبلها والمعول عليه في بناء نهضتها ورفيها وتطورها وهي ترعاه منذ طفولته، وتهيئ له جميع الظروف التي تساعد على الارتقاء؛ ليكون الإنسان النموذج فتنفخر به، وتجهز له كل الوسائل الممكنة لتعلمه تعليما صالحا، يمتلك مقومات شخصية المواطن الصالح، فكل المبادرات التي تقوم بها الدولة من أجل ترقية الناشئة والعناية بهم سيوفر لها راحة ورقيا وتنمية.

التعليم مسؤولية جسيمة تقع على كاهل الأمة، لكونه يواجه التحديات التي تعترضها، فهو يتصدى للتخلف ويحصن المجتمع، ويجاول أن يتخطى المستقبل، ويبني روح الفرد بناء متماسكا، لذلك حرصت الأمم على وضع مناهج تربوية تكتسب منها مشروعها الفكري والحضاري والثقافي، وتبني به مستقبلها الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، « ويرتبط مصطلح المنهج بمصطلح التدريس إلى درجة كبيرة، فبدون المنهج أو خطة المنهج لا يمكننا تفعيل عملية التدريس

، وكذلك بدون التدريس يصبح المنهج لا قيمة له ¹ ، فما يقدم من مادة تعليمية يغدوا رافدا للمتعلم في حياته ولجتمعه ولوطنه ولأمته ولكافة الإنسانية ، فالتعليم هو مفتاح التنمية الحقيقية للأمة .

وإن تعددت تعاريف المنهج التعليمي لدى التربويين فإنه يمثل النظام التربوي الذي يؤسس لرفاهية المجتمع ، ويحقق الجودة المنشودة وهو يمثل « مجموعة الخبرات أو المعلومات والمهارات والعادات والاتجاهات التي حصل عليها الفرد واكتسبها بنفسه في المدرسة التي تحكم سلوكه في البيئة » ² ، وإن كان يعدّ هذا المفهوم ضيقاً ، لأنه نتاج المدرسة التقليدية التي حددت نشاطها في ساحتها ، دون مراعاة الظروف الخارجية والتفاعل لدى المتعلمين مع ما يكتسبونه من معارف انطلاقاً من أسرهم ثم محيطهم ، وما يمتلكونه من خبرات وكفاءات فإنّ المنهج التعليمي في النظام التعليمي الحديث هو ذلك المنهج الذي يتضمن مجموع الخبرات التربوية والاجتماعية والثقافية والرياضية والفنية والعلمية التي تخططها المدرسة وتهيئها لمتعلميها ليقوموا بتعلمها داخل المدرسة أو خارجها بهدف اكتسابهم أنماطاً من السلوك وتعديل أنماط أخرى من السلوك أو تغييرها نحو الاتجاه المرغوب فيه من طريق ممارسة المتعلمين جميع الأنشطة اللازمة والمصاحبة لتعلم تلك الخبرات التي تساعدهم في اتمام نموهم ³ .

وبناء على ما تقدم ، نجد بأنّ المنهج التعليمي الحديث ساهمت في إيجاد ظروف فرضت نفسها ، منها التقدم العلمي والتكنولوجي وما باحت به البحوث التربوية والنفسية والفلسفية والثقافات الحديثة في مجال التعليم ، دون نسيان سوق العمل والاقتصاد ، وكذا العولمة ، والتشظي الذي أصاب البلدان بعدما اقتحمت وسائل التواصل والاتصال العالم المجتمعات ، وعادت المناهج التعليمية تؤثر في سياسة الكثير من البلدان ، وخاصة الدول العربية ، مما فتح المجال لاحتضان هذه المناهج التعليمية الغربية ومحاولة اقتباسها واستعارتها بفلسفتها ، وقيمتها ، والخطر لا يكمن في هذه المناهج وما تحتويه من نظريات وطرائق في عملية التعليم والتعلم وإنما في الأهداف التي ترمي إليها والتي يمكن أن تكون سهاماً سامة تضرب قلب الأمة وتفكك المدرسة العربية في مداخلها ومخرجاتها .

أ / مفهوم اقتباس المنهج التعليمي :

المناهج التعليمية في الوطن العربي أغلبها مستلّ من النظريات التربوية الغربية ، ولطرائق التدريس التي تنهجها المدارس الغربية ، وإنّ إشكالية المناهج التربوية في البلدان العربية قديمة ، تعود إلى فترة الاستعمار وبداية النهضة العربية ، التي حاول فيها العربي أن يقيم جسراً نحو أوروبا ، يمتد ويقلص المسافة معه في تطوره التكنولوجي ، والاقتصادي والثقافي ، واقتباس المناهج التعليمية لا يعدّ ضمن التربية المقارنة إذ « الدراسة المقارنة لنظم التعليم والمشكلات التربوية في البلدان المختلفة لا تعني بالضرورة أن يتم نقل واستعارة النظام التعليمي من بلد إلى آخر - وإن كان هذا قد حدث بصورة متكررة عبر التاريخ - وإنما تعني الكشف عن القوى والأسباب التي تؤدي إلى اختلاف النظم التعليمية والوقوف على مشكلات التعليم في مختلف البلدان أما كاندل Kandel فهو يرى ؟ أن التربية المقارنة هي تدرس النظريات التربوية السائدة من حيث طرق ممارستها وتأثيرها بالبيئات المختلفة » ⁴ ، فإن لم يتم استعارة المنهج بنظامه الشمولي ، فإنّ أجزاء منه يمكن أن تقتبس وتتحول إلى منظومة تربوية ، يعتد عليها وتكون من لبنات المنهج التعليمي في بيئة غير بيئته الأصلية ، وإنّ المنهج

التربوي المقتبس بفلسفته الغربية والغربية يحاول أن يخلق مواطنا كونيا ، تذوب شخصيته وتنهار في الثقافة المستحدثة من هذا المنهاج ، فالحرص على التحصين المتعلمين ينطلق من منهاج تربوي أصيل ومنفتح ، ليكون مدخلا لإصلاح الأمة ، فقد تعددت موجة الاصلاحات التربوية والحالة بقيت على ما هي عليه ، ولم تتغير الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للعالم العربي .

وعليه فإنّ انتقال المناهج التعليمية إلى البلدان العربية يتخذ عدة أشكال ، فقد يكون عن طريق الاقتباس أو استعارة المناهج أو المقارنة بين النظريات والطرائق التعليمية بين البلدان ، واتخاذ السبل من أجل توفيرها في البلدان العربية ، وإملاء الفراغ الموجود في النظام التعليمي العربي يتم في الغالب عن طريق هذه الاستثمارات التعليمية ؛ ممّا يخلق تعقيدات في المنظومة التربوية العربية ، إن لم يحسن استغلال هذا الاستيراد التعليمي ،

ب / دوافع اقتباس المنهاج التعليمي

أصبحت المناهج التربوية مثل السلع التي تقاس حسب جودتها ، فتباع ويتم الاستثمار فيها ، نظرا لما تحقّقه من اسهامات في تنمية الأوطان ، والعالم العربي ، مازال تتدفق على نظامه التعليمي العديد من المناهج التعليمية ؛ لتكون المنظومة التربوية العربية قائمة على ما تنتجه النظريات الغربية والمعارف الغربية من النشاط التربوي الغربي ، وعملت بعض الدول العربية « على تكريس أنماط التعليم الغربي ، التي تكونت سابقا ، وظلت تسير في ظلها حتى كادت أن تكون نسخا مطابقة لها في كثير من الأحيان ، كما أن تفوق الدول الكبرى في إنتاج المعرفة وتطبيقها في شؤون الحياة وتحويل المعلومات إلى سلع جعل نظم التعليم ومؤسساته هذه تعتمد عليها في تطوير مناهجها التعليمية والقيام بأنشطتها ، بل وتطوير نظم تعليم وتعلم حديثة بمحتويات وأساليب جديدة»⁵ ، فالأسباب متعددة منها التاريخي ، والتقليدي ، والسيطرة والهيمنة الغربية ، وتصعد الجسد العربي ، وانقسام المدارس التعليمية ، وهيمنة العولمة وتبعاتها على الدول العربية ومؤثراتها التعليمية على واقع النظام التعليمي ومخلفاته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

1- الاستعمار :

عملية اقتباس المناهج التعليمية ليست وليدة اليوم ، فهي تضرب بجذورها إلى حقبة الاستعمار ، « فمنذ الموجات الاستعمارية الغربية على الوطن العربي أخذت الدول الاستعمارية تكثف جهودها لنشر أنماط التعليم الأوروبية في المناطق العربية المحتلة ، بل عمدت إلى نشر هذه الأنماط قبل مجيئها ؛ حتى توجد جماعات تتقبله وتناصره ، حيث ركزت سلطات الاحتلال في بداية الأمر على إنشاء المؤسسات التعليمية التي تلي احتياجاته ، بالتزامن مع دعم المؤسسات التعليمية الخاصة بأبناء الجاليات الأجنبية وأبناء الأقليات المحلية ، ثم بأبناء الفئات الغنية ، حتى تكون هذه المؤسسات التعليمية نماذج متميزة يحتذى بها »⁶ ، وهذا ما نجده على سبيل المثال في فترة الاستعمار الفرنسي ، عمد المستعمرون على تقوية المنهاج التعليمي في المدارس للجزائريين وفرضه على أبناء الوطن وقد « جعلوا اللغة الفرنسية فيها محورا لجميع الدروس ، وقالوا بصراحة أن المدرسة يجب أن تكون قبل كل شيء ، معهدا معدا لتعليم اللغة الفرنسية ، كما وجدنا أنهم اهتموا بتوجيه دروس الأخلاق نحو غايتهم الأصلية ، فإنهم وضعوا في مناهج الدروس قسما خاصا بواجبات الأهليين نحو

فرنسا ، وخصصوا لهذا القسم من المنهاج موقعا مهما بين الواجبات الأساسية والواجبات نحو الله ، والواجبات نحو أبناء البشر .⁷ ، وقد لاحظ ابن باديس أن المناهج والبرامج المتبعة في زمانه ؛ « ليست في حالة اعتدال ، سواء في صورتها أو مادتها ، لإهمالها كثيرا من المبادئ الخالدة التي جاء بها الإسلام ، فهو يرى أنه لن يصلح هذا التعليم إلا إذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه ، في مادته وصورته ، ويرى ضرورة إعداد المناهج المناسبة لتنشئة أجيال المستقبل وتربيتها التربية الصالحة ثم دعا إلى إعادة النظر في المناهج التعليمية التي كانت في عصره »⁸ ، دون أن ننسى ما تركه الاستعمار من مدارس وجامعات ومعاهد في الكثير من البلدان العربية والتي كانت تدرّس نظامها التعليمي للمواطنين ، ممّا يخلق فجوة بين أبناء الوطن الواحد ، لاختلاف الثقافات والمفاهيم ، واختلال المعارف ، فالمؤثرات الأجنبية هيمنت على الفكر العربي بعد نشر مناهجها التعليمية في مدارس تمولها وترعاها مصالحتها .

2- العولمة :

إنّ تيار العولمة الجارف والمتغيرات العالمية نتيجة تقليص المسافات بين الدول عن طريق التكنولوجيا الحديثة ، وهيمنة القوى العظمى بسياساتها واقتصادها وثقافتها ، دفع إلى هيمنة هذه الدول الكبرى في مسارات النظم التعليمية للدول النامية وخاصة الدول العربية منها ، « وهنا لا غرو أن تسعى الدول الرأسمالية الكبرى ومعها المنظمات الدولية نحو فرض هيمنتها على نظم التربية العربية ، ويتجلى ذلك في تدخلها السافر والمقنّع في توجيه السياسات التربوية واستراتيجيات تطويرها في المسارات التي تخدم مصالحها ، أو بمعنى آخر في اتجاه عولمتها ، وكذا تغيير المناهج التعليمية ، وإلغاء مؤسسات تعليمية ، واستبعاد تيارات وقوى سياسية واجتماعية معينة من موقع القرار التربوي بحجج الاستفادة من التقدم العلمي والتقنية الحديثة »⁹ ، فتحت هذه التأثيرات المفتعلة أو غير المباشرة يتم تمرير المناهج التعليمية أو بعض المشاريع التربوية إلى النظام التربوي العربي .

3- الاستيلاء :

إنّ التدفق المعرفي الرهيب الذي ينحدر إلى مجتمعاتنا وما يرافقه من تكنولوجيا وتطور كبيرين يكاد يشكل صدمة لدى الشباب العربي ، فيقف عاجزا متسائلا عن الأسباب التي أوجدت هذه التكنولوجيا والمعارف ، فيشعر عندها بالاستيلاء ، فيفقد توازنه بل إنّ بعضهم يكيل الاتهامات لتلك الأنظمة التعليمية التي ساهمت في الركود الثقافي والعلمي والفكري ، وهذا طه حسين أعلنها سابقا حين شاهد ما وصل إليه الغرب ، قائلا ومتهما المنظومة التعليمية التي أنشأته « أشعر بأن نشأ في مصر هي التي دفعتني إلى هذا كله دفعا ، وفرضت هذا كله علي فرضا ، لأني لم أنشأ نشأة منظمة ولم تسيطر على تربيتي وتعليمي أصول مستقيمة مقررة ، وإنما كانت حياتي مضطربة كلها أشد الاضطراب ، تدفني إلى يمين ، وتدفعني إلى شمال ، وتقف بي أحيانا بين ذلك . »¹⁰ ، فإفرزات التعليم ولدت صدمة لدى هؤلاء الكتاب وغيرهم ، سواء من أفراد المجتمع أو النخبة التربوية التي حاولت أن تقلل حجم المأساة في النظام التربوي ، وتستغني عن تلك المناهج التعليمية التقليدية ، وتولي شطر فكرها لاقتباس تلك النظريات والفلسفات والأنظمة التربوية الغربية ، وتحاول أن تطبقها في العالم العربي .

ج / آثار اقتباس المنهاج التعليمي :

في مطابقتها وعدم مطابقتها للقيم الوطنية والقومية ، وللهوية الوطنية والشخصية الوطنية ، وملائمتها لروح الأمة ، وتوافقها مع صورة المجتمع ، وبعثها للتحدي ، ورسمها لأفق المستقبل ، وتمكين جهد العلماء التربويين الباحثين من تثوير التعليم ، وتحقيقهم لغايات أسمى تخدم الإنسان ، وبسط تلك النظريات التعليمية أمام الواقع التعليمي لأطفالنا ، وإنما ننبهر بالغرب وبما وصل إليه من تطور رهيب ، يصل إلى حد الانبهار ، بل إلى الإستيلا ، والقهر والشعور بالتوهان نحوه ، وهذا لا يمنع من ادراك فضل الغرب وقدرته على التكيف مع روح العصر وإنّ التحديات التي تواجه الأمة العربية ، تضرب بتلابيبها في كل المجالات ، وهذه الأخيرة رهينة لما يقدمه النظام التعليمي في البلدان العربية ، فاستقامتها وصلاحها ونموها ورفيها من مخرجات التعليم ، والعكس كذلك ، فكل اهتزاز واضطراب وتشتت وانحيار إلا كان بسبب مخرجات التعليم ، « فمراعاة النظام التعليمي للمتعلمين : "مدى ملائمة ما تقدمه لثقافة المجتمع ، ومن هنا نجد أنفسنا بصدد الإجابة عن التساؤلات الآتية : إلى أي مدى تتماثل المؤسسات التعليمية المختلفة في نظرتها للثقافة السائدة في المجتمع ؟ هل تتفق المؤسسات في تلك النظرة أم تختلف ؟ فمثلا هل تتفق المدرسة مع البرامج التلفزيونية في اتجاهاتها نحو الأغاني الهابطة ؟ إذا كانت الإجابة بنعم فهل يتفق ذلك مع ثقافة المجتمع نحو تلك القضية ؟ فكما ازداد التوافق بين مختلف المؤسسات التعليمية ازدادت قدرة الطالب على تحقيق مفهوم التكامل بنجاح أكبر .¹¹ » ، وهذا ما يجعل عملية استيراد واقتباس المنهاج التعليمية فيها من الحذر والخطر إذا لم يكن الاقتباس منظم ومخطط له .

يقول جميل حمداوي ويتساءل عن وضع التجريب للمناهج التربوية ومدى فائدتها وتحصيلها للتعليمي للمتعلم العربي : « جرب المغرب بصفة خاصة ، والعالم العربي بصفة عامة ، نظريات تربوية عدة ، كنظريات التربية الحديثة ، ونظرية الأهداف السلوكية ، ونظرية الجودة ، ونظرية الشراكة ، وبيداغوجيا المجزوءات ، ونظرية الكفايات والإدماج .. وما زال البحث مستمرا لإيجاد نظريات تعليمية أخرى موجودة في الساحة التربوية الغربية من أجل تجريبها في مدارسنا ومؤسساتنا الوطنية تقليدا واستيرادا واستنباتا ، قصد تطبيقها وممارستها ورغبة في التحقق من نجاعتها وفعاليتها .¹² » ، فالمرود التربوي يقاس على ما يمتلكه المنهج التعليمي ، من آفاق النجاح ، والتطور السريع للعصر هل يواكبه تسارع البحث التربوي في مناهجه التعليمية ؟

والأزمة الراهنة للعالم العربي ليست أزمة مال ورجال وإنما أزمة تعليم يفترق إلى البوصلة التي تقود إلى المعيار الحقيقي نحو التكامل والانتماء الحضاري الميداني وليس شعارا يرفع في المناسبات ، ويسمع في الأزمات فالتغيير وإعادة النظر في المناهج التعليمية يكون وفق رؤية صادقة وفاعلة " فكثيرا ما تهرز الأزمات عملية إصلاح التعليم في كل الدول حتى المتقدمة منها ، وهذا ما فعلته الولايات المتحدة لما تفوق عليها الاتحاد السوفياتي في سباق غزو الفضاء وأطلق أول " سبوتنيك " في نوفمبر 1957 م ، فتخلت عن برجماتية ديوي ورفعت شعار العودة إلى الأساسيات Backs to basics في التعليم ، وقديما لما هزمت ألمانيا في معركة " بينا " صاح الفيلسوف فيخته بقولته الشهيرة : " بالتربية سوف نتصر على نابليون " وكان إصلاح شامل للتعليم الألماني ، ولما تم النصر الألماني في 1870م ، أشاد بسمارك بالمعلم قائلا : " إن الذي انتصر

في هذه الحرب إنما هو معلم المدرسة " .¹³ ، فلكل أمة منهاجها التعليمي الذي يتوافق مع طبيعة مجتمعتها ، ويوائم عاداتها وتقاليدها ، وينظم حياتها وفق رؤية فلسفية وتربوية خاصة ؛ لأنّ هذه المناهج التعليمية تتأثر بالنظم العائلية والأدبية والسياسية والاجتماعية في مرافقتها للمنهاج التعليمي ، وتشاركه في التأثير ، و« لقد أدرك العالم المتقدم أن الإنسان المنتج يتم تشكيله وتنمية مهاراته وقدراته ابتداء من سنوات التعليم الأولى ، وعليه فإن المدرسة هي مكان تلقي العلم وتنمية المهارات والقدرات ، وإن ارتقاء جودة التعليم يساعد في تأهيل المتعلمين للحصول على فرص العمل المناسبة ، ويتم ذلك بالتركيز على المضمون والكيف لا على الكم كي نتيح للمتعلمين أن يمارسوا أنشطة مدرسية تساعدهم على تسليحهم بالقدرات والمهارات والقيم الاخلاقية »¹⁴ ، وهذا ما يناسب التطلعات التربوية للأمة العربية ويساعد على توفير الجودة المرجوة من مخرجات التعلم ، وتكون المناهج التعليمية في حلتها الجديدة رافدا مهما للمعرفة وإنتاجها .

1- الاقتباس الايجابي :

قد يكون المنهج التربوي سبب الكثير من المشاكل التي تتخبط فيها المدارس العربية ، لطبيعة فلسفتها وأهدافها وبرامجها ، فقد يكون باطنها يختلف عن ظاهرها ، وقيمتها لا تتماشى مع المجتمع ، فيحدث ذلك التصدع الاجتماعي ، ممّا يغرق الأمة في ضحالة المدرسة ورؤيتها القاصرة وغير الهادفة في رسم رسالتها التي وجدت من أجلها ، فحقيقة المنهاج التربوي تتراءى في ملامسته لصيرورة المجتمع وديمومته نحو التنمية الفكرية والاقتصادية والاجتماعية ، ونحو الإيمان بأنّ المدرسة هي القلعة التي تنتج هذه الثمار وتغدق على أبناء الأمة من خيراتها ، وتحرص على إشعارهم بمواطنتهم ، وتكفل بنجاحهم ؛ ليكونوا ناشئة تحسن القيادة وأن يكون الاقتباس عملية منظمة ومخطط لها ، ويكون في تصور كلي وشامل للعملية التعليمية ، ولا يقتفي الأثر النسبي ، ويحافظ على روح الأمة .

وبناء على ما سبق فإنّ المنهاج في محتواه النظري يصبح لا جدوى منه إن لم يرافقه الجانب التطبيقي « فلكل منهاج تعليمي جانب تطبيقي يهدف إلى تحقيقه " فالجانب التطبيقي لأية فلسفة تربوية يتضمن عادة الأفكار والمبادئ التي تنادي بها تلك الفلسفة بالنسبة للأهداف التربوية والمناهج الدراسية وطرق التدريس والتنظيم المدرسي ، كما يشمل الاقتراحات التي يقدمها الفيلسوف لحل المشاكل التربوية العملية كمشكلة مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ ومشكلة تصنيف التلاميذ ، ومشكلة النظام في المدرسة ، إلى غير ذلك من المشاكل العملية التي يقدر الفيلسوف المربي الحلول العملية لها بما يتفق والمبادئ التي نادى بها في القسم النظري من فلسفته »¹⁵ ، حتى يتناسب التعلم مع الواقع ، ويكون برغماتيا ، مسهما في تحفيز المتعلمين وإقبالهم على الحياة بروح الإبداع والابتكار والخلق والتجدد والانبعاث ، ممّا يكفل تعليما نشيطا متفاعلا مع المجتمع والوطن والأمة .

2- مظاهره على جودة التعليم :

جودة التعليم لها جانبان : جانب كمي وجانب كيفي ، والجانب الكمي يتعلق بتوفير مجموعة من الضوابط والمعايير الكمية في مدخلات النظام مثل معايير التشييد والبناء في الأبنية التعليمية ، ومعدلات الطالب والمعلم ، وكثافة الفصل ، ومخصصات التلميذ في المواد القرائية في المكتبة ، أما الجانب الكيفي أو النوعي فإنه يتعلق بمواصفات عمليات النظام

ومخرجاته ، ومعنى ذلك أن كيفية توظيف المدخلات وما يحدث من عمليات داخل المدرسة ، تعليماً كان أو نشاطاً ، هو المتغير الأهم في تشكيل مخرجات التعليم¹⁶ ، أن تكون مدخلات المنهاج التعليمي تتوافق « لكل الأعمار وتشمل كل ما يجب أن يتعلمه الأفراد ويكونون قادرين على فعله وذلك لمسايرة الحياة في الوقت الحالي وفي المستقبل ، المستقبل الذي نتجه نحوه بالفعل والمستقبل الذي نأمله ، وتؤثر طبيعة التعليم التي يوفرها مجتمعنا في الوقت الحالي على جودة مستقبلنا ، فيساعد التعليم الناشئة على صنع هذا المستقبل ، »¹⁷ ؛ وما يجمع بين الأهداف التعليمية الناتجة عن العديد من المصادر التي تشتق منها ، فلسفية ، نفسية ، ثقافية ، يقود إلى معرفة أصالة المنهاج التعليمي أو اقتباسه من مذاهب تعليمية غربية عن المنهاج الأصلي ، والذي استمد فلسفته من بيئة بعيدة عن ثقافة الأمة ، فتحدث القطيعة بين المدرسة ومحيطها ، إن فلسفة المناهج التعليمية في غاية الثقل والتعقيد ، فالنسق المعرفي الذي تأسست عليه ، يختلف بين ثقافة الأقطار والبلدان ، « لكل مجتمع نموذج التربوي المنشود المعبر عن مثله الثقافية وطموحاته التاريخية لأن الأصل فيه أنه تعبير عن ثقافة المجتمع ، وبالتحديد من نظرة الحياة التي يؤمن بها المجتمع ، إن صياغة النموذج التربوي المنشود ليست من أقل منهجية معيارية تتم وفق معايير محددة تستهدف الضبط المنهجي لعملية الصياغة من أجل ضمان التميز الثقافي للمجتمع والتعبير الصادق عن طموحاته في التاريخ »¹⁸ ، وتأثر النظم التعليمية ببعضها ، قد يعود بالنفع والفائدة إن تم صياغة الاقتباس بطريقة تتناسب مع الثقافة التي يرحد إليها ، مع التغييرات والإصلاحات التي تطاله، « وفيها يتم اختيار المحتوى من طريق الاطلاع على محتوى مناهج حديثة في دول متقدمة وهي الدول التي تنفق على محتوى مناهج حديثة أموالاً طائلة وتبذل جهوداً كبيرة في بناء مناهجها وتقومها وتطويرها كالولايات المتحدة وإنجلترا واليابان وسنغافورة ، وهذا الانفتاح أمر مطلوب لا بد من الاستفادة من خبرات الآخرين وعدمه يعني التقوقع والانغلاق ، ولكن ما يجب أن ننبه إليه هنا هو أن الاطلاع على مناهج الآخرين بقصد دراستها ومحاولة الاستفادة منها شيء والنقل غير الواعي منها شيء آخر ، فمحتوى المنهج يجب أن يكون مرآة صادقة لمجتمعهم »¹⁹ ، فلا مانع إذن أن نجد مقومات تربوية تمنح الجودة للمنظومة التربوية الوطنية في مضامين المناهج التعليمية .

2-1- التناغم مع العصر :

" تتعرض الأمة العربية لمخاطر جمة فرضتها طبيعة التطورات المعاصرة وبخاصة في ظل الهجمة الشرسة التي يتعرض لها الوطن العربي لتفتيت أوطانه ، وإثارة الفتن والقلقل بين أبنائه ، وقد زاد من خطورة ذلك التدني الملحوظ في أداء المؤسسات التربوية والثقافية التي لم تتمكن ثمار جهودها على مرّ العصور السابقة من حماية فكر بعض الشباب العربي الذي أصبح عرضة لتيارات فكرية وافدة عليه سلخت بعضهم عن هويتهم العربية بل أصبحوا في جانب معاد لها ، وقد زاد من حدة ذلك وخطورته تدفق المعلومات بسرعة مذهلة من غير حواجز ، أو موانع بفعل التطور التقني في وسائل الاتصال وأدوات التواصل ."²⁰ ، و" إن التربية العربية المعاصرة ما تزال دون المستوى الابداعي المنشود ، ويكفي القاء نظرة على أحوال أكثر المدارس العربية ، لتبين أنها تربي لنا أجيالاً مقلدة لا أجيالاً مبدعة ، وإن التربية التي تقدمها لنا

مضطربة وغير منسجمة مع متطلبات التقدم الانمائي. وإن القيم التي نغرسها في النفوس ما تزال تقليدية لا قيما²¹، ولا قيمة لتعليم عربي لا يواكب العصر، وينهل من المعارف الحديثة، ويبسط أمام المتعلمين ما جادت به علوم العصر.

2-2 - القيم الإنسانية :

إن بناء إنسان المستقبل يحتاج إلى مناهج تعليمية غير منغلقة على محيطها وإقليمها الضيق، بل يتسع أفقها وتمتد إلى البعد الإنساني، فتكون القدرات لدى المتعلمين منصهرة بين المنهج العلمي المعاصر والأصالة، فنشاطها الإنساني تكتسبه مما تلقت من المناهج التربوية الحديثة، « فلا معنى لتعليم عصري لا يقوم على توظيف تحرير الإنسان وتعظيم إسهاماته في مسيرة التنمية الشاملة المطردة، حيث إن التنمية هي عملية تحرر الإنسان، والإنسان هو هدف التنمية ووسيلتها، والتنمية تمكن الإنسان من تحسين نوعية تحسين باستمرار، والتعليم هنا تعليم للقلب والعقل معا، تعليم كلي متكامل فيه جميع جوانب المتعلم من جسم وإحساس وفكر وعقل وانفعال وخيال وحس وروح في تركيبه، متناغمة للحرية والمسؤولية،.. تعليم فيه حسن التصرف والسلوك العلمي والعقلاني والإبداع والتحدي والاسترخاء والاعتماد على النفس والاعتماد المتبادل، تعليم عصري يرتبط فيه تحرير الإنسان بتمكينه من الوصول إلى المعرفة بصورة مستقلة.»²²، ونظام التعليم الذي يفتح على المجتمع يعكس آماله وطموحاته يعكس درجة تقدم المجتمع، مكتسباته البشرية بالكم والكيف المطلوبين، وفي الزمن المحدد، كما يمهّد لحركة هذا المجتمع نحو مستقبله الذي ينشده أبنائه، وهكذا يخلق نظام التعليم أجيالا إيجابية في سلوكياتها، قادرة على المشاركة في تطور المجتمع اجتماعيا واقتصاديا، وعلميا وفي كافة المجالات²³

2-3 - توظيف التكنولوجيا في التعلم :

تحرص المناهج التعليمية الحديثة على وضع استراتيجية لتحقيق الأهداف التعليمية عن طريق استعمال الوسائل التكنولوجية في المواد التعليمية، فالوسائل تساعد المتعلمين على إشباع حاجاتهم وتضيف لهم الخبرات وتجعلهم أكثر استعدادا للتعلم، وتثير حواسهم وتعزز لديهم المعارف والمهارات والخبرات وتصبح الطرائق النشطة المحركة لعقل ووجدان المتعلم والاستفادة من النظريات التربوية الحديثة التي أنتجها المفكرون الغربيون مع الحرص على تشيبتها وتقييمها بما يناسب المجتمعات العربية، والتحدي الذي يواجه المنظومة العربية في التعليم، هو تحدي الجودة، وابرار مكاسب التعليم فالإنماء التربوي ينطلق من المستوى الإداري إلى المستوى البيداغوجي من تحسين الأطر التربوية والبنية التحتية للتعليم، وتكوين المعلمين، وتحسين ظروف التمدن للمتعلمين، والتمكين للتكنولوجيا أن تكون رافدا مساعدا للتعلم، « فلا بد أن نأخذ في سياق تعليمنا بالمعلوماتية، وما تتضمنه باستخدام الحاسوب، وثورة الاتصالات، والتطورات المعاصرة في مجال الجينات والتكنولوجيا الحيوية، والعلوم الموجهة لفهم البيئة الطبيعية، والتعامل الراشد معها، وعلوم الفضاء»²⁴، وكل ما من شأنه يساهم تحسين التعليم، ويوفر سبل النجاح والرفاهية، ويخدم المنهاج التعليمي وفق رؤية علمية هادفة مبصرة مستنيرة نحو تنمية في شتى المجالات.

2-4 - تحفيز الإبداع والمبدع :

للمدرسة في مناهجها التعليمي الدور الريادي لتكوين النموذج الابداعي ، وليكون له المسؤولية كاملة في تحمل أعباء الابداع ، والمناهج التعليمي المقتبس يحمل في أصوله وقواعده مقومات المدرسة المبدعة التي تضم الادارة المبدعة والمعلم المبدع والمتعلم المبدع ، ويكشف المنهاج عن توفير الفرص للمتعلمين في حرية استخدامهم للكفاءات المعرفية التي يمتلكونها ، أو يسيطرون عليها بمهاراتهم الفردية والجماعية ؛ لأنّ هذه المناهج المدعمة بفلسفات برغماتية تقمع الكبت لدى المتعلم ، وتعطيه القدرة على التحليل والحس والانضباط الذاتي والنزعة إلى النقد الذاتي ، والتفاعل والتعاون .
وعليه ، فإن المدرسة الحديثة بمناهجها المعاصرة تجعل المتعلم قادر أن ينمي الابداع كما قال العالم الكبير بول تورنس وهو من الخبراء القلائل الذين كتبوا في الابداع بعمق أن المعلمين يستطيعون أن يفسدوا الابداع إذا استخدموا أساليب تسلطية في التدريس ولهذا فإننا نحتاج إلى معلم مختلف²⁵.

3- الاقناب السلبى :

إنّ مراعاة تفوق المناهج التعليمية الغربية لا يعدو كونه اكتسب مرونة وفاعلية في استخدامه ، وتمكين بيئة له وفرت له كل الامكانات المادية والمعنوية ، وهو وجد ليخدم المجتمع الذي منه نبت وفيه درج ومنه استمد روحه وفلسفته وقيمه ، ومحاولة اقتباسه بما يحمله من حمولة ثقافية فيه من المخاطر التي يمكن أن تؤثر سلبا وتزيد الأمر تعقيدا في المنظومة التربوية المنتقل إليها ، لذلك « قد يؤدي إلى نقل النواقص التي كان يشكو منها ، ويسعى لإزالتها المفكرون في البلاد التي أنشأت ذلك النظام ، وهذه النقائص عندما تنتقل إلى بيئة جديدة ، قد تصبح أشد ضررا بكثير مما كانت في بيئتها الأصلية »²⁶، والمدارس لا تصان من الخارج إلا بالقدر الذي تصان به من الداخل فيما يحصنها من مناهج تربوية تعليمية تقفوا أثر المدرسة التاريخي والحضاري ، وتصون وحدة صف أبنائها ، وتضع سياجا تؤمن تراث المتعلمين وتحمي عقولهم من الاغتراب والاستلاب ، ولا يتمتع منهجها التعليمي إلا بما يقدمه من ضمانات تربوية وتعليمية وثقافية تؤصل وجود المتعلم « وآمن الحصري بأن سبيل الثقافة المشتركة هو العمل في المقام الأول على تخلص التعليم في البلاد العربية من تبعيته لنظم التعليم الأجنبية ، ذلك أنه ليس هناك نظام تعليمي قائم بذاته ، وإنما هذا النظام التعليمي جزء من مجموعة النظم الاجتماعية الخاصة بتلك البيئة وهو يعمل فيها ويؤثر فيها ويتأثر بها ، ولهذا لا ينبغي للتعليم في البلاد العربية أن يكون مقتبسا من غيره من النظم التعليمية »²⁷، فالغزو لثقافي بعدما كان من الخارج أصبح من الداخل ، يغزونا من برامج الدراسة ومن تلك المناهج المستوردة أو المقتبسة من المدارس الغربية وفلسفاتهما التربوية المختلفة عن مجتمعاتنا ، فهناك المظاهرات التخريبية المدمرة والتسويق التجاري المغشوش ، والفساد الإداري الذي ينخر في جسد المؤسسات الحكومية والخاصة على حد سواء ، وتفشي ظاهرة البطالة ، وخيانة الأمانات ، وشيوع السرقات ، وإهمال الواجبات ، وقد أظهرت الدراسات بأن أغلب المشكلات هي لفئة عمرية متمدرسة أو مازالت في سن التمدرس ، الأمر الذي يؤكد على أهمية تغيير البرامج التربوية والمناهج التعليمية بما يتناسب مع سوق العمل ، مما يستدعي ربط العلم بالتطبيق في المدارس والمعاهد .²⁸ « قد يغدو المنهاج التعليمي المقتبس به من النواقص حتى في الأرض التي نبت فيها ، فتنقل تلك

النقائص بعدواها إلى المنظومة التعليمية المستقبلية له ، فإذا كان خطأ تلك المناهج التعليمية الغربية المقتبسة ، ذلك أننا كشعب لم نبحث بعمق في الأركان الاجتماعية والخلقية والثقافية التي تقوم عليها التربية ، ولأننا فشلنا بعد أن حققنا استقلالنا وأقمنا حكما وطنيا ، في الإدراك بأن الحكم الجديد يتطلب نوعا جديدا من التربية ، يتطلب رسم سياسة وطنية واضحة ، وتخطيطا تربويا ، ومناهج جديدة من صنعنا نحن تلائم طبيعتنا وبيئتنا وطموحنا وتطور حياتنا ، اعتمدنا على مناهج مستوردة ، وتربية من صنع غيرنا ، فكانت تربيتنا ومناهجنا بعيدة عن طبيعة طلابنا وحاجاتهم ، وعن طبيعة مجتمعنا وحاجاته وإمكانياته ، فتفكك مجتمعنا وضاع أبنائنا .²⁹

خاتمة :

يعدّ المنهاج التعليمي علامة مميزة لأيّ مؤسسة تعليمية ، فجوته من جودة النظام التعليمي ، فبه ترتقي الأمة ، وتستمد وجودها الحضاري ، وعنه تعبر عن روح الإنسان وطموحاته ومكاسبه ومقوماته ، فتسموا غاياته ، وتزداد أهدافه نحو المستقبل ، فالجودة رهينة ما يحققه المنهاج التعليمي من تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية ، والمناهج التعليمية في عصرنا أصبحت سلعة تتنافس على الرواج بين الدول ، وهي تخضع دائما لتطهير مما يلحقها من شوائب إعاقة التعليم وتطويره . والعالم العربي شهد حقبا متفاوتة أثرت عليه أيما تأثير في اكتساب رهان النظام التربوي الذي يقوده إلى الرفاهية ، فقد كانت معظم بلدانه عرضة للاستعمار ، وهيمنة القوى الكبرى على خياراته واستطاعت أن تعطل مسيرته ونهضته ، فتراكمت الظروف مما جعله يتزح في نظامه التعليمي ، ولم ينطلق الانطلاقة التنموية الشاملة ، وقد حاولنا في هذه المداخلة أن نبين مدى تأثير المنهاج التعليمي على جودة التعليم ، وخاصة تلك المناهج المستمدة من الثقافة الغربية ، فما لا يدرك كله لا يهمل جله كما يقولون ، فرأينا بأنّ الغرب ليس كله خير وليس كله شرّ ، والعلم والمعرفة هي ملك للإنسان وأنه بإمكان تسخير تلك المناهج التعليمية بما يخدم مصلحة الأمة وتيسيرها لمقتضى النظام التعليمي العربي ؛ لأنّ المناهج الغربية المقتبسة لها من الخبرات والتجارب والنظريات الإنسانية والطرائق التعليمية ما يمكن أن يستفيد منها المتعلم العربي ، وتفيد المدرسة العربية وتمنحها تلك النقائص البيداغوجية والتربوية التي عطلت طريقها نحو التنمية ، فقد توصلنا إلى نتائج بالإمكان أن تفيد المناهج التعليمية وتستثمر فيها النظم التربوية العربية على نحو توظيف التكنولوجيا في العملية التعليمية ، وإعطاء مجال حرية المتعلم في الاندماج في محيطه وتسخير روح المبادرة لديه للإبداع ، وتحصين المواطن بالقيم والمثل العليا .

الهوامش :

¹ - حسن شحاتة : تصميم المناهج وقيم التقدم في العالم العربي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2008م ص 21 .

² - عمران جاسم الجبوري ، حمزة هاشم السلطاني : المناهج وطرائق تدريس اللغة العربية ، دار الرضوان للنشر ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 1434هـ / 2013م ، ص 21 .

³ - ينظر : عمران جاسم الجبوري ، حمزة هاشم السلطاني : المرجع نفسه ، ص 25 .

⁴ - عبد الجواد السيد بكر : التربية المقارنة والسياسات التربوية ، مطبعة السلام ، أسيوط ، مصر ، د.ر.ط ، ص 2 .

- ⁵ - أحمد علي الحاج محمد : العولمة والتربية آفاق مستقبلية ، كتاب الأم كتاب الأمة ، لسلسلة دورية تصدر عن إدارة البحوث ، قطر ، العدد 145 ، رمضان 1432 هـ ، السنة الحادية والثلاثون ة ، ص 105 .
- ⁶ - أحمد علي الحاج محمد : المرجع نفسه ، ص 145 .
- ⁷ - أبو خلدون ساطع الحصري : أحاديث في التربية والأخلاق ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1985 م ، ص 87 .
- ⁸ - مصطفى محمد حميداتو: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية ، سلسلة كتاب الأمة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، العدد 57 ، المحرم 1418 هـ ، السنة السابعة عشر ، ص 134
- ⁹ - أحمد علي الحاج محمد : العولمة والتربية آفاق مستقبلية ، كتاب الأمة ، ص 157 .
- ¹⁰ - سعيد إسماعيل علي : الفكر التربوي العربي الحديث ، سلسلة عالم المعرفة ، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد 113 ، ماي 1987 م ، ص 46 .
- ¹¹ - حسن شحاتة : تصميم المناهج وقيم التقدم في العالم العربي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 2008 م ص 26 .
- ¹² - جميل حمداي : نحو نظرية تربوية جديدة البيداغوجيا الإبداعية ، مكتبة المثقف ، الرباط ، المغرب ، ط 1 ، 2015 م ، ص 4 .
- ¹³ - ينظر: محمد قمبر: الإصلاح التربوي في مصر ، ضروراته ، فعالياته ، مقوماته ، المؤتمر العلمي السنوي لكلية التربية بالمنصورة بالتعاون مع مركز الدراسات المعرفية بالقاهرة ، آفاق الإصلاح التربوي في مصر ، 2 ، 3 أكتوبر 2004 م ، ص 11 .
- ¹⁴ - حسن شحاتة : رؤية تربوية وتعليمية متجددة بين العولمة والعوربة ، دار العالم العربي ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 1429 هـ ، 2008 م ، ص 139 .
- ¹⁵ - عمر محمد التومي الشيباني : تطور النظريات والأفكار التربوية ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، در.ط ، 1971 م ، ص 329 .
- ¹⁶ - ينظر: حسن شحاتة : رؤية تربوية وتعليمية متجددة بين العولمة والعوربة ، ص 43 .
- ¹⁷ - ينظر: حسن شحاتة : تصميم المناهج وقيم التقدم في الوطن العربي ، ص 95 .
- ¹⁸ - عمر نقيب : الضوابط المنهجية لصياغة النموذج التربوي المنشود للفرد والمجتمع ، مجلة التربية والابستمولوجيا ، مجلة تصدر عن مخبر التربية والابستمولوجيا بالمدرسة العليا للأساتذة ، بوزريعة ، الجزائر ، العدد الأول ، 2011 م ، ص 28 .
- ¹⁹ - عمران جاسم الجبوري ، حمزة هاشم السلطاني : المناهج وطرائق التدريس ، ص 88 .
- ²⁰ - ينظر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الخطة الإستراتيجية للمنظمة 2017 / 2022 ، تونس ، 2016 م ، ص 4
- ²¹ - ينظر: حسن صعب : تحديث العقل العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1980 م ، ص 178 .
- ²² - حسن شحاتة : تصميم المناهج وقيم التقدم في الوطن العربي ، ص 170 .
- ²³ - ينظر: عبد الجواد السيد بكر : التربية المقارنة والسياسات التربوية ، ص 11 .
- ²⁴ - حسن شحاتة : تصميم المناهج وقيم التقدم في الوطن العربي ، ص 170 .
- ²⁵ - ينظر: مراد وهبة : الأبداع والتعلم العام ، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 1991 م ، ص 16 .
- ²⁶ - الحصري ساطع أبو خلدون : آراء وأحاديث في العلم والأخلاق والثقافة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، د.ت.ط ، 1985 م ، ص 64 .
- ²⁷ - سعيد إسماعيل علي : الفكر التربوي العربي الحديث ، ص 125 .
- ²⁸ - سعيد بن أحمد آل لوتاه : تحديث التعليم وتطوير المناهج ، المؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم ، الإمارات العربية ، دبي ، 1429 هـ / 2008 م ، ص 44 .
- ²⁹ - ينظر: فريد جبرائيل نجار : تطور الفكر التربوي في العالم بعد الحرب العالمية الثانية ، المركز التربوي للبحوث والإنماء ، بيروت ، لبنان ، در.ت.ط ، ج 4 ، ص 34 .